النِّسَاءُ فِي القُرْآنِ

# أُمُّ مُوسَى

عَلَيْهَا السَّلامُ

**تأليف: محمد المطارقي**
**رسوم: محمد نبيل**
**تدقيق: قسم اللغة بالدار**
**إشراف فني وجرافيك: سمر قناوي**

المطارقي، محمد.
أم موسى
تأليف/ محمد المطارقي، ـ الجيزة
شركة ينابيع، ٢٠١٦
ص؛سم ـ (سلسلة النساء في القرآن)
تدمك: ٣٠٦٠٣ ٤٩٨ ٩٧٧ ٩٧٨
١- قصص الأطفال
٢-قصص القرآن
٣- النساء في القرآن
أ- العنوان: ١١ش الطوبجي-الدقي-الجيزة
رقم الإيداع: ١٠١٧٤/ ٢٠١٦

طَائِرُ الـخَوفِ يُحَلِّقُ فَوْقَ رُؤوسِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.. الفَزَعُ هُوَ الصُّورَةُ الوَاضِحَةُ الَّتِي تَرْتَسِمُ عَلَى وجُوهِهِمْ ، فَمُنْذُ أَنْ قَرَّرَ فِرْعَونُ مِصْرَ ذَبَحَ أَطْفَالِـهِمْ وَهُمْ فِي أَشَدِّ حَالاتِ الـخَوفِ وَالقَلَقِ، وَصَارَتِ النُّسْوَةُ الـحَوَامِلُ يُحَاوِلْنَ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ إِخْفَاءَ مَعَالِـمِ الـحَمْلِ، لَكِنَّ الجَوَاسِيسَ وَأَعْيُنَ الشُّرْطَةِ كَانُوا يَتَلَـمَّسُونَ الأَخْبَارَ؛ أَيَّ أَخْبَارٍ تَدُلُّ عَلَى وجُودِ امرَأَةٍ حَامِلٍ، هُنَالِكَ يَتَّابِعُونَهَا، وَيَتَجَسَّسُونَ عَلَيْهَا، حَتَّى إِذَا مَا أَوْشَكَتْ عَلَى الوَضْعِ إِذَا بِهَا تُفَاجَأُ بِأَعْوَانِ فِرْعَونَ. أَعْوَانُ فِرْعَونَ قُسَاةُ القُلوبِ، فِي يَدِهِم السَّاطُورُ يَكَادُ مِنْ



شِدَّةِ بَرِيقِهِ وَلَـمَعَانِهِ  أَنْ يَخْطِفَ الأَبْصَارَ. فَمَا يَكَادُونَ يَعْلَـمُونَ أَنَّ الـمَوْلُودَ الـمِسْكِينَ ذَكَرًا حَتَّى يَتِمَّ  ذَبْحُهُ بِهَذَا السَّاطُورِ عَلَى الفَورِ بِدُونِ أَنْ تَتَحَرَّكَ فِي أَجْسَادِهِمْ شَعْرَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ أَجْلِ هَذَا الوَلِيدِ الَّذِي لَـمْ يَرْتَكِبْ ذَنبًا إلا أَنَّهُ ذَكَرٌ، أَمَّا إِذَا كَانَ الـمَوْلُودُ أُنْثَى، فَقَدْ كُتِبَ لَـهَا أَنْ تَعِيشَ، وَإِنْ كَانَتْ تَعِيشُ حَيَاةً قَاسِيَةً تَحْتَ وَطْأَةِ الذُّلِّ وَالانْكِسَارِ..

فِي هَذِهِ الظُّرُوفِ العَصِيبَةِ حَمَلَت امْرَأَةٌ صَالِـحَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..
إِنَّهَا أُمُّ نَبِيِّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ.



لَـمْ يكُنْ قَلْبُ الطَّاغِيَةِ فِرْعَونَ يَعْرِفُ مَعْنَى الرَّحْمَةِ، بَلْ كَانَ قَلْبًا قَاسِيًا أَجْوَفَ مِنَ الطَّبْلِ وَأَشَدَّ قَسْوَةً مِنَ الصَّخْرِ الأَسْوَدِ القَاتِمِ، كُلُّ مَا كَانَ يَعْنِيهِ هُوَ مُلْكُهُ العَظِيمُ، وَاسْتِعْبَادُهُ لِـهَؤُلاءِ البُؤَسَاءِ الـمَسَاكِينِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيرِهِمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ. وَلا تَتَعَجَّبُوا يَا أَصْدِقَائِي؛ فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَعْلَـمُونَ أَنَّ نِهَايَةَ هَذَا الطَّاغِيَةِ الأَحْمَق سَتَكُونُ عَلَى يَدِ أَحَدِ أَبْنَائِهِمْ، وَتِلْكَ بِشَارَةٌ مُؤَكَّدَةٌ عِنْدَهُمْ فِي الكُتُبِ، تَوَارَثُهَا الأَبْنَاءُ عَنِ الآبَاءِ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ.. بَعِيدٍ جِدًّا.. يُقَالُ مُنْذُ عَهْدِ نَبِيِّ اللهِ إِبْرَاهِيمَ الـخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلامُ. كَانَتْ (أُمُّ مُوسَى) فِي أَشَدِّ حَالاتِ الوَجَلِ وَالـخَوْفِ، فَهِيَ



الآنَ حَامِلٌ، وَالأَعْيُنُ الـمُتَلَصِّصَةُ البَاحِثَةُ تَجُوسُ خِلالَ الدِّيَارِ، وَيَزْدَادُ القَلَقُ وَالـخَوْفُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ كُلَّـمَا أَوْشَكَتْ عَلَى مَوْعِدِ الـحَصَادِ، بِالرَّغْمِ مِنْ بَطْنِهَا الصَّغِيرِ الـمُتَكَوِّرِ الَّذِي لَـمْ يَكُنْ وَاضِحًا تَـمَامًا، وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللهِ - تَعَالَى - عَلَيْهَا، فَالَّذِي يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَيَتَأَمَّلُ بَطْنَهَا لايُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَعْرِفَ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ أَنَّ هَذِهِ السَّيِّدَةَ الكَرِيمَةَ حُبْلَى، بَلْ وَبِدَاخِلِ بَطْنِهَا ذَكَرٌ، وَهَذَا الذَّكَرُ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ، إِنَّهُ ضَالَّةُ فِرْعَونَ الَّذِي يَبْحَثُ عَنْهُ فِي بُطُونِ النِّسَاءِ، وَفِي دِيَارِهِمْ.



وَمَا هَاتِيكَ الـمَذَابِحُ الَّتِي يُمَارِسُهَا جَلَّادُوهُ وَالَّتِي تَفِيضُ لَـهَا الدِّمَاءُ البَرِيئَةُ هُنَا وَهُنَاكَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ هَذَا الغُلامِ، فَقَدْ أَكَّدَ الكَهَنَةُ وَمُفَسِّرُو الأَحْلامِ لِفِرْعَونَ أَنَّ تِلْكَ الرُّؤْيَةَ الَّتِي رَآهَا فِي مَنَامِهِ تَعْنِي ـ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ ـ أَنَّ مَوْلُودًا سَوْفَ يُولَدُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، سَتَكُونُ نِهَايَةُ فِرْعَونَ وَخَاتِـمَةُ مُلْكِهِ عَلَى يَدِهِ.

نَعَم، إِنَّهُ الطَّاغِيَةُ الَّذِي اسْتَخْدَمَ أَسَالِيبَ غَايَةً فِي الوَحْشِيَّةِ مِنْ أَجْلِ تَوْطِيدِ مُلْكِهِ وَإِرْغَامِ النَّاسِ عَلَى عِبَادَتِهِ، وَيَبْدُو أَنَّ هُنَاكَ بِطَانَةً مِنَ الـمُنْتَفِعِينَ كَانُوا يَعْلَـمُونَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ سِرُّ بَقَائِهِمْ فِي النَّعِيمِ الَّذِي يَغْرَقُونَ فِيهِ، وَالقُصُورِ الَّتِي يَسْكُنُونَهَا.

كَانَتِ السَّيِّدَةُ العَظِيمَةُ (أُمُّ مُوسَى) تَحْمِلُ قَدْرًا هَائِلًا مِنَ الإِيمَانِ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ قُوَّةِ إِيمَانِهَا إِلَّا أَنَّ قَلْبَهَا كَأُمٍّ يكَادُ يَقْفِزُ مِنْ بَينِ أَضْلُعِهِ مِنْ شِدَّةِ الـخَوفِ وَالـهَلَعِ، فَالجَلَّادُونَ يَقْتَرِبُونَ مِنْ بَابِهَا، وَهِيَ بِحَمْدِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ قَدْ وَلَدَتْ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِهَا أَحَدٌ. كَانَ هُنَاكَ هَاتِفٌ يَمْلأُ كَيَانَهَا بِقُوَّةٍ، وَيَتَغَلْغَلُ فِي أَعْمَاقِ قَلْبِهَا بِأَنَّ وَلَدَهَا هَذَا لَنْ تَسْتَطِيعَ يَدٌ أَنْ تَخْلُصَ إِلَيْهِ أَو تَنَالَهُ بِسُوءٍ. عَلَيْهَا إِذَا كَانَتْ تُرِيدُ إِنْقَاذَهُ أَنْ تَصْنَعَ لَـهُ تَابُوتًا (صُنْدُوقًا) مِنَ الـخَشَبِ وَتَضَعَهُ فِيهِ.

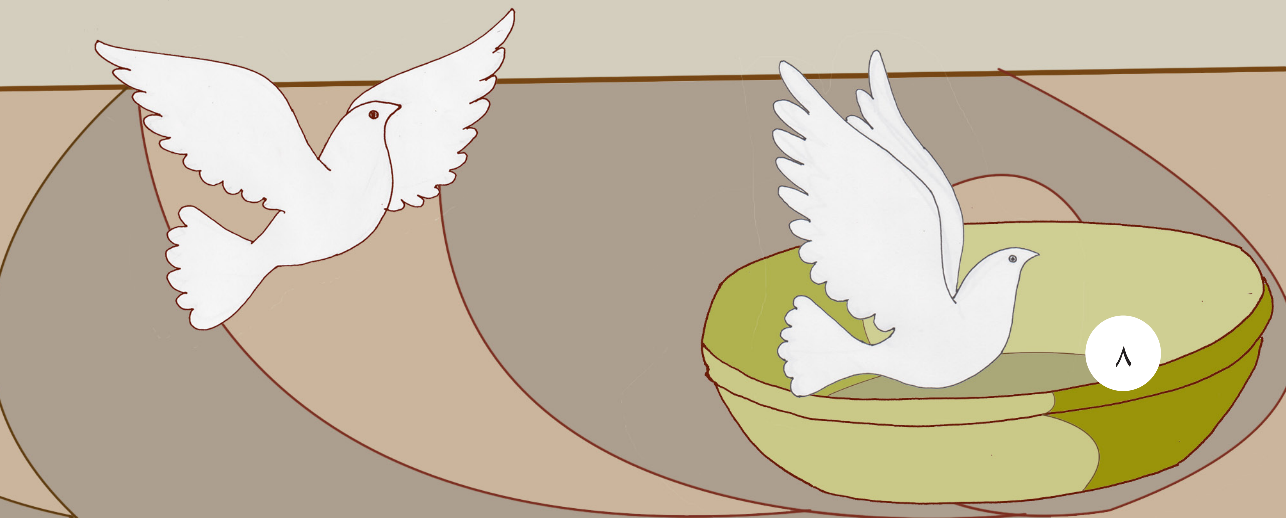

موسى
عليه السلام

كَانَ بَيْتُ أُمِّ مُوسَى عَلَى حَافَّةِ النِّيلِ، وَالتَّابُوتُ سَيَكُونُ فَوْقَ اليَمِّ (النَّهْرِ)، بِالقُرْبِ مِنْ مُتَنَاوَلِ يَدِهَا، إِذَا شَعَرَتْ بِالخَطَرِ قَادِمًا وَضَعَتْهُ فِي الصُّنْدُوقِ وَدَفَعَتْ بِهِ نَحْوَ المَاءِ الجَارِي.. إِنَّهَا تَمْتَثِلُ لِهَذَا الهَاتِفِ الَّذِي يُخَاطِبُهَا كَأَنَّهَا تَرَاهُ، وَصَلَ بِهَا إِلَى دَرَجَةِ اليَقِينِ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الأَمْثَلُ لِلنَّجَاةِ..

أَتَدْرُونَ لِمَاذَا ؟ لأَنَّ ذَلِكَ الهَاتِفَ هُوَ وَحْيٌّ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.. الَّذِي جَعَلَهَا تَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ وَهِيَ تَشْعُرُ بِالاطمِئْنَانِ أَنَّ اللهَ - تَعَالَى - لَنْ يُضَيِّعَ وَلَدَهَا..

كَانَتْ (أُمُّ مُوسَى) تَتَأَمَّلُ وَلِيدَهَا.. سُبْحَانَ الخَلَّاقِ العَظِيمِ، يَا لَجَمالِهِ الرَّائِعِ.. فَرَغْمَ سُمْرَتِهِ إِلَّا أَنَّ القُلوبَ تَنْفَتِحُ لَهُ بِمُجَرَّدِ رُؤيَتِهِ، هَا هِيَ قَدْ وَضَعَتْهُ فِي التَّابُوتِ بَعْدَ أَنْ تَرَكَتْ عَلَى جَبِينِهِ المُتَلأْلِىءِ قُبْلَةً دَافِئَةً تَمْتَلِىءُ بِحُبٍّ جَارِفٍ وَحَنَانٍ أَعْمَقَ وَأَعْظَمَ مِنْ هَذَا النَّهْرِ العَذْبِ المُتَدَفِّقِ الَّذِي يُسَمَّى (النِّيلَ)، وَالَّذِي يَنْسَابُ فِي عَفَوِيَّةٍ بِجِوَارِ بَيْتِهَا.

فَجْأَةً.. مَعَ الدَّقَّاتِ الثَّقِيلَةِ المُتَوَالِيَةِ لِجُنُودِ فِرْعَونَ، فِي سُرْعَةٍ عَجِيبَةٍ وَضَعَتْ وَلَدَهَا كَالمُعْتَادِ فِي التَّابُوتِ، ثُمَّ أَلْقَتْهُ فِي النَّهْرِ.





دَخَلَ الجُنُودُ يُمْسِكُونَ بِآلَةِ الذَّبْحِ الـمُخِيفَةِ، وَأَخَذُوا يَبْحَثُونَ هُنَا وَهُنَاكَ، لَقَدْ وَصَلَ إِلَى عِلْـمِهِمْ أَنَّ هَذَا البَيْتَ بِهِ مَولُودٌ ذَكَرٌ، وَلابُدَّ مِنْ قَطْعِ رَأْسِهِ الآنَ وَتَقْدِيمِهَا إِلَى فِرْعَونَ كَي يَسْعَدَ بِهَا وَيَهْنَأَ قَلْبُهُ وَيَهْدَأَ. بَحَثُوا هُنَا وَهُنَاكَ، وَفِي كُلِّ الأَنْحَاءِ.. قَلَبُوا الأَشْيَاءَ، صَاحُوا بِغَضَبٍ، زَمْجَرُوا بِشِدَّةٍ ، لَكِنَّهُمْ لَـمْ يَجِدُوا شَيْئًا. لَقَدْ كَانَ الصُّنْدُوقُ الـخَشَبِيُّ يَعْرِفُ طَرِيقَهُ جَيِّدًا، هَا هُوَ يَشُقُّ عُبَابَ الـمَاءِ.. وَيَتَّجِهُ مُبَاشَرَةً نَحْوَ قَصْرِ عَدُوِّهِ الطَّاغِيَةِ، الَّذِي يُدْعَى فِرْعَونَ.



مَا إِن انْسَحَبَ هَؤُلاءِ الظَّالِـمُونَ القَتَلَةُ، وَأَغْلَقَتْ أُمُّ مُوسَى البَابَ حَتَّى وَجَدَتْ نَفْسَهَا تُهَرْوِلُ مُسْرِعَةً نَحْوَ النَّهْرِ، يَا إِلَهِي، أَيْنَ وَلَدِي؟ لَـمْ تَجِدْهُ فِي مَكَانِهِ كَالـمُعْتَادِ، لَقَدِ اخْتَفَى، جَرَفَتْهُ مِيَاهُ النِّيلِ، اتَّسَعَتْ عَيْنَاهَا، وَرَاحَ قَلْبُهَا يَدُقُّ بِعُنْفٍ شَدِيدٍ يَكَادُ يَقْفِزُ مِنْ شِدَّةِ الهَلَعِ، جَرَتْ هُنَا وَهُنَاكَ، مَاذَا يُمْكِنُ لهَا أَنْ تَصْنَعَ؟ لَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ غيرَهَا، كَادَتْ أَنْ تَصْرُخَ وَتُنَادِي عَلَيْهِ، لَكِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - رَبَطَ عَلَى قَلْبِهَا، فَشَعَرَتْ بِاطْمِئْنَانٍ عَجِيبٍ يَسْرِي فِي حَنَايَاهَا، وَأَحَسَّتْ بِيَقِينٍ أَنَّ وَلَدَهَا سَيَعُودُ إِلَيْهَا، وَلَنْ تَـمسَّهُ يَدٌ بِسُوءٍ.






لَـمْ تَقِفِ السَّيِّدَةُ أُمُّ مُوسَى عَاجِزَةً، بَلْ نَادَتْ ابْنَتَهَا، وَأَمَرَتْهَا أَنْ تَبْحَثَ عَنْ أَخِيهَا، وَتَقُصَّ أَثَرَهُ، وَتَتَّبِعَ خَبَرَهُ، وَلا تُحَاولَ الاقْتِرَابَ مِنْهُ، فَقَطْ تَطْمَئِنُّ عَلَى سَلامَتِهِ، وَتَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ وَصَلَ. وَانْطَلَقَتِ الفَتَاةُ فِي أَثَرِ التَّابُوتِ، بَيْنَما رَاحَتِ السَّيِّدَةُ أُمُّ مُوسَى تَرْفَعُ أَكُفَّ الضَّرَاعَةِ وَتَبْتَهِلُ إِلَى اللهِ أَنْ يَحْفَظَ لهَا وَلَدَهَا، فَهِيَ تَشْعُرُ وَكَأَنَّ قَلْبَهَا قَدْ انْتُزِعَ مِنْ مَكَانِهِ، وَشَاءَ اللهُ - تَعَالَى - أَنْ يَصِلَ التَّابُوتُ إِلَى قَصْرِ فِرْعَونَ، وَكَادَ أَنْ يَهمَّ بِذَبْحِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الـمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿القصص:10﴾.

أَلْقَى اللهُ - سُبْحَانَهُ - مَحَبَّةَ الصَّبِيِّ فِي قَلْبِ السَّيِّدَةِ آسِيَةَ زَوْجَةِ فِرْعَونَ، فَشَعَرَتْ بِأَنَّ هَذَا الرَّضِيعَ سَيَكُونُ قُرَّةَ عَيْنٍ لَهَا، لأَنَّهَا لَمْ تُنْجِبْ إِلا بَنَاتٍ.. إِحْسَاسٌ مَا غَمَرَهَا بِالرَّاحَةِ، وَأَشْعَرَهَا بِأَنَّ هَذَا الوَلِيدَ سَيَكُونُ سَبَبًا فِي إِسْعَادِهَا، بَيْنَمَا فِرْعَونُ أَشَاحَ بِوَجْهِهِ بِلا أَدْنَى مُبَالاةٍ وَقَالَ سَاخِرًا: قُرَّةُ عَيْنٍ لَكِ أَنْتِ. لَقَدْ أَعْطَاهَا فِرْعَونُ بِذَلِكَ مُوَافَقَةً بِأَخْذِ الرَّضِيعِ. وَكَانَ الوَلِيدُ يَبْكِي بِشِدَّةٍ،وَكَأَنَّهُ يُنَاشِدُ هَذِهِ السَّيِّدَةَ الطَّيِّبَةَ أَنْ تُعِيدَهُ إِلَى قَلْبِ أُمِّهِ، وَرَاحَ فِي نَوْبَةِ بُكَاءٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ إِسْكَاتَهُ، وَحَاوَلَتْ مُرْضِعَاتُ القَصْرِ إِرْضَاعَهُ لَكِنَّهُ رَفَضَ الرَّضَاعَةَ، فَأَرْسَلَتْهُ السَّيِّدَةُ آسِيَةُ إِلَى السُّوقِ بِرِفْقَةِ مَنْ تَثِقُ بِهِنَّ مِنَ الجَوَارِي لِيَبْحَثْنَ لَهُ عَمَّنْ تُرْضِعُهُ.



لَـمْ يَكُفَّ الـمِسْكِينُ عَنِ البُكَاءِ، وَشَعَرَ الجَمِيعُ نَحْوَهُ بِالرِّثَاءِ وَالأَلَـمِ، إِنَّهُ بِذَلِكَ سَيَهْلَكُ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ. فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِ الـمَرَاضِعَ. وَفِي تِلْكَ اللَّـحَظَاتِ تَقَدَّمَتْ شَقِيقَتُهُ وَعَرَضَتْ عَلَيْهِمْ قَائِلَةً: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَقُومُونَ بِرِعَايَتِهِ وَإِرْضَاعِهِ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ؟ وَلَـمْ يَكُنْ أَمَامَهُمْ إِلَّا الاسْتِجَابَةِ لَـهَا، فَلَـمَّا حَضَرَتْ أُمُّهُ إِلَى القَصْرِ وَضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا وَهِيَ تَتَرَنَّحُ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ، صَمَتَ الوَلِيدُ عَلَى الفَوْرِ، وَالْتَقَمَ ثَدْيَهَا وَرَاحَ يَرْضَعُ وَهُوَ فِي حَالَةٍ مِنَ الرِّضَا وَالـهُدُوءِ.

شَعَرَتِ امْرَأَةُ فِرْعَونَ السَّيِّدَةُ آسِيَةُ بِسَعَادَةٍ كَبِيرَةٍ، هَا قَدْ تَجَدَّدَ الأَمَلُ مِنْ جَدِيدٍ فِي إِحْيَاءِ الـمِسْكِينِ بَعْدَ أَنْ أَوْشَكَ عَلَى الـهَلاكِ مِنَ الجُوعِ، قَالَتْ آسِيَةُ لأُمِّ مُوسَى: تَـمْكُثِينَ هُنَا فِي القَصْرِ لِتَقُومِينَ بِرِعَايَةِ هَذَا الرَّضِيعِ، فَمِنَ الوَاضِحِ أَنَّكِ امْرَأَةٌ طَيِّبَةٌ.

لَكِنَّ الأُمَّ اعْتَذَرَتْ قَائِلَةً: إِنَّ لِي زَوْجًا وَأَبْنَاءً يَحْتَاجُونَ لِرِعَايَتِي. وَهُنَا لَـمْ تَجِدْ زَوْجَةُ فِرْعَونَ بُدًّا مِنْ أَنْ تُسَلِّمَهَا الوَلِيدَ الصَّغِيرَ لِتَرْعَاهُ وتُعْطِيهَا - فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ - عَطَايَا لَـهَا وَلأَوْلَادِهَا.. وَمَبْلَغًا مِنَ الـمَالِ ثَابِتًا؛ كَرَاتِبٍ لَـهَا عَلَى هَذَا العَمَلِ.








وَهَكَذَا أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ وَالصَّدِيقَاتُ، عَادَتِ الأُمُّ الصَّالِحَةُ، الـمُؤْمِنَةُ، إِلَى بَيْتِهَا وَسَعَادَةٌ بِحَجْمِ هَذَا الكَونِ العَظِيمِ تَغْمُرُ قَلْبَهَا، وَتُرَفْرِفُ عَلَى بَيْتِهَا.. لَقَدْ صَدَقَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَعْدَهُ، وَرَدَّ الرَّضِيعَ إِلَى أَحْضَانِ أُمِّهِ، لِكَي تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ. لَيْسَ هَذَا فَقَط؛ بَلْ وَسَوْفَ تَحْصُلُ عَلَى أَجْرٍ جَزِيلٍ فِي مُقَابِلِ إِرْضَاعِهِ وَرِعَايَتِهِ.. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿القصص:13﴾.